

دور التاريخ في بناء الشخصية الوطنية للطلبة
The role of history in building the national character of students

علي عشي *

جامعة باتنة 1

ali.achi@univ-batna.dz

تاريخ القبول: 2024/02/23

تاريخ الاستلام: 2024/01/05

الملخص:

التاريخ ليس سجلا لحقائق الماضي فقط ولكنه يعد أيضا أسلوب تفكير وتسيير وطريقة من طرق التفكير العلمي في الشؤون الإنسانية، يقوم على النقد والمقارنة وعدم تقبل الأحكام كقضايا مسلمة مهما كان مصدرها إلا بعد وزنها وزنا عقليا وربط السبب بالنتيجة وتعليل الحوادث، ولكن يجب توجيه هذا التاريخ لتكوين فرد هادئ ومتزن يحب وطنه ومؤمن بقدراته، وله هوية وطنية ثابتة لاتزعزعها التأثيرات الخارجية، نابعة من ثقافته وتاريخه الطويل، ولهذا نهدف من هذه المقالة إبراز معنى التاريخ الوطني ومكوناته، وكيفية تدريسه من أجل غرس هوية وشخصية لطلبة الجامعات. ونتوقع من هذه الورقة أخذ صورة عامة عن كيفية توجيه التاريخ لخدمة القضية والهوية الوطنية.

الكلمات المفتاحية: التاريخ، الهوية الوطنية، الشخصية الوطنية، الطلبة

Abstract :

History is not only a record of the facts of the past, but it is also considered a method of thinking and management and a method of scientific thinking in human affairs, based on criticism, comparison, and not accepting judgments as taken for granted, regardless of their source, except after weighing them rationally, linking the cause to the effect, and explaining the events. However, this history must be directed to form... A calm and balanced individual who loves his country and believes in his abilities, and

has a stable national identity that cannot be shaken by external influences, stemming from his culture and long history. That is why we aim in this article to highlight the meaning of national history and its components, and how to teach it in order to instill an identity and personality for university students. We expect this paper to provide a general picture of how history can be directed to serve the cause and national identity.

Keywords: History, national identity, national character, students.

1- مقدمة :

إن المجتمعات البشرية والشعوب دأبت منذ أقدم العصور إلى أياมนา هذه على توجيه الاهتمام نحو ماضيها، فحفظت من أحداثه كل ما يهيمها رواية في الصدور أو كتابة في السطور، فعمدت إلى تدريس ذلك لأجيالها، بمنظور وطني يعزز الهوية والقومية في نفوس الناشئة. فظهر ذلك ما نسميه بالتاريخ، ولا يمكن تفسير هذا الدأب والاستمرار إلا بالضرورة الملحة والحاجة الماسة التي تشعر بها المجتمعات شعورا يكاد يكون نظريا في بادئ الأمر ثم يتبلور بالتدريج في مجال الوعي، ولعل الأهم من كل هذا هو أن التاريخ يحدد الهوية لأي مجتمع بالمعنى الشامل لكلمة الهوية.

وقد يجد المؤرخون أنفسهم في أوقات الأزمات القومية كالحرب أو فترات التكيف التي تعقب الحروب مدفوعين إلى إضفاء العاطفة على قصة تقدم بلادهم، وقد يتناسون الحقيقة بعض الشيء، إذا دعت الضرورة لذلك، فحقا تعليم التاريخ يمكن أن يستخدم في تنشئة مواطنين مخلصين إذا كانت قصة الوطن تسمح للمواطن أن يفتخر به وتبعث على السمو. ولذلك وجب علينا طرح الاشكالية التالية: المؤرخ ودوره في تشكل الهوية الوطنية بين التقوية والتعزيز أو التهوين والتخوين، جدال مستمر.

ويمكن لنا أن نطرح التساؤلات التالية: ما هي الأهداف الحقيقية التي يجب أن نصبوا إلى تحقيقها من خلال تدريس التاريخ؟ كيف ندرس التاريخ؟ وهل كتبنا المدرسية ذات نغمة وطنية كافية؟

وكيف يمكن أخذ العبر من التاريخ؟

وللإجابة عن الاشكالية السابقة سنتبع المنهج التاريخي باعتبارنا نتكلم عن التاريخ ومن خلال الاستشهاد بحوادث تاريخية، إضافة إلى المنهج الوصفي الذي يقدم لنا بعض صفات وأخلاق المؤرخ.

وسنقسم هذه المقالة إلى خطة وفق العناصر التالية:

1- مكانة التاريخ في المنظومة التعليمية الوطنية:

يذكر ابن خلدون " إن التاريخ في ظاهره لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول و السوابق من القرون الأولى، تنمو فيها الأقوال، وتضرب فيها الأمثال...وتؤدى لنا شان الخليفة كيف تقلبت بها الأحوال، واتسع للدول فيها النطاق والمجال، وعمرها الأرض حتى نادى بهم الارتحال، وحن منهم الزوال، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات

الوقائع وأسبابها عميق، فهو لذلك أصيل في الحكمة وعريق وجدير بأن يعد في علومها وخليق⁽¹⁾ (

وقد ذهب سيد قطب نفس المذهب حين قال: «إن التاريخ ليس هو الحوادث، إنما هو تفسير هذه الحوادث، واهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفية التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان»⁽²⁾.

ولا غرابة أن يولى كبار المحدثين مثل البخاري ومسلم وأحمد بن حنبل والترمذي وغيرهم عناية بعلم التاريخ. ذلك أن دراسة التاريخ على النحو الذي أشرنا إليه في هذه المحاضرة لها فوائد متعددة، يقول ابن الأثير: من رزقه الله طبعاً سليماً وهادياً صراطاً مستقيماً علم أن فوائده كثيرة ومنافعها الدنيوية والأخروية جمة غزيرة⁽³⁾.

لهذا فالتاريخ جسريدربط الماضي بالحاضر والمستقبل، والأمة التي لا تاريخ لها ليس لها مستقبل، فيذكر ساطع الحصري "الأمة التي تنسى تاريخها، تكون قد فقدت شعورها وأصبحت في حالة سبات، وإن لم تفقد الحياة، وتستطيع هذه الأمة أن تستعيد وعيها وشعورها بالعودة إلى تاريخها القومي والاهتمام به فعلياً"⁽⁴⁾.

وقد اهتمت الجزائر بالتاريخ منذ نيلها للاستقلال، من خلال تدريسه للأجيال والاستعانة بالكفاءات الوطنية وحتى الأجنبية من البلدان العربية، فسطرت مناهج تعليمية تخدم المنظومة الوطنية، وتحاول تكوين شخصية رزينة للطالب⁽⁵⁾.

إن التاريخ ككل المواد التعليمية الأخرى يدرس بهدف تحقيق نوعين من الأهداف التربوية، أهداف إخبارية وأهداف تكوينية: ففي النوع الأول يكون الحرص منصبا على تزويد المتعلم بمعلومات وأفكار تنتهي إلى حقل التخصص العلمي الذي تم اشتقاق محتويات المادة الدراسية منه، أما النوع الثاني فهو الذي يجعل المتعلم متمكناً من الأدوات والوسائل المنهجية التي تسمح له بإعادة تنظيم المعلومات والأفكار المرتبطة بنفس الإطار التخصصي للمادة المدرسة.

لكن في غياب برامج ومناهج تنسجم وهويتنا الثقافية وشخصيتها الوطنية، وتستجيب للتحديات التي تكتنف حاضرها ومستقبلها، فضلاً عن افتقاد الاطارات المؤهلة للقيام بهذه المهمة، من أجل استعادة الثقة في الذات، وتحريرها من أسر الاستلاب الحضاري⁽⁶⁾.

إن الإشكالية التي تطرح هي: كيف يمكن أن نضع أسساً علمية لبناء ديداكتيك⁽⁷⁾ متعلق بالتاريخ آخذين بعين الاعتبار كلا الجانبين المذكورين سابقاً: الجانب الإخباري والجانب التكويني؟ لا شك أن طرح هذه الإشكالية ينم عن فكرة غير معلنه وهي أن التفكير في بناء ديداكتيك للتاريخ

ينبغي أن ينطلق أولا من التفكير حول مادة التاريخ نفسها للجواب على الأسئلة التالية: . ما هي طبيعة المعلومات والمعارف التي تدرس في إطار مادة التاريخ: هل هي مجرد أخبار تتعلق بما مضى من الأحداث؟ أم أنها ناتجة عن بناءات constructions سمحت بها مناهج وأدوات يعمل بها المؤرخ؟

. ما هي طبيعة هذه المناهج وهذه الأدوات؟ وكيف تستخدم في البحث التاريخي؟ وكيف تمكن من إنتاج معرفة تاريخية؟ . ما هي طبيعة التقاطعات التي تحدث عادة بين عمل المؤرخ وعمل الباحثين في الاقتصاد والاجتماع وعلم النفس الاجتماعي والانثروبولوجيا... الخ لأن من شأن معرفة هذه التقاطعات أن تبرز نوعية الاطار المفاهيمي والأداتي الذي يلجأ إليه المؤرخ في تحقيقه وقراءته؟ لأحداث الماضي. كيف نتمكن من نقل عمل المؤرخ في أبعاده المنهجية من إطاره العلمي الصرف، لكي يصبح عملا خاصا بالمتعلم في إطار تعليمي تعليمي؟ إن التفكير في عمل المؤرخ كيف يبحث عن الخبر؟ كيف يفهمه ويفسره؟ وكيف يتحقق من صدقه أو من بطلانه؟

إن الإجابة على هذه الأسئلة سيتيح إمكانية بناء وضعيات ديداكتيكية تتجه كلها نحو تكوين مؤرخ صغير يكون قادرا بدوره على التعامل مع الحدث أو الواقعة التاريخية تعاملًا نقديًا من خلال البحث عن المعلومات من مصادر متنوعة لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالحادثة التاريخية التي تشكل موضوع الدرس، والتحقق من مدى صحة الأخبار والمعلومات المتراكمة حول الواقعة، من خلال الدراسة النقدية لمصادرها ومحتوياتها الخاصة، وترتيب الأحداث والمعلومات المختلفة في سلسلة نسبية بحيث تمكن من فهم الواقعة المراد دراستها فهما علميا.

ومن الواضح أن المقررات الدراسية في المنظومة التعليمية تعتمد على تزويد الطالب بكم معرفي هائل يغطي مختلف الحقب التاريخية، لكن الرهان على الكم المعرفي الذي يتعين على الطالب تحصيله خلال سنوات الدراسة كثيرا ما شكل خيرا محفوفًا بمحاذير غير خافية، أقلها مصادرة حق الطالب في المناقشة وإبداء الرأي، نظير استنزاف وقت الدرس في الالتقاء والمحاضرة، التي قلما تعلق بذهن الطلبة، دون أن نهمل قضية الحجم الساعي المخصص للتاريخ والذي في أغلب الأحيان لا يتعدى ساعة من الزمن⁽⁸⁾.

ومما لا ريب فيه أن المعرفة التاريخية مهما بدت محايدة في نظر المتلقي، فإنها لا تنفصل عن الرؤى الفلسفية والمنطلقات الفكرية المؤطرة لفكر منتجها، ومن ثم كان من الضروري محاولة سبر الخلفية التي انبثقت عنها مقررات برنامج التاريخ⁽⁹⁾، في مؤسساتنا التعليمية.

ويبدو أن تدريس التاريخ ما زال بعيدا عن اقتراح وضعيات تعليمية تعليمية، تصب في اتجاه تكوين ما أسميناه بالمؤرخ الصغير، لأنه مهما يكن من أمر فإنه ينبغي أن تظل الوطنية

بوصفها معيارا للكتابة التاريخية، بل تجعل الباحث في موضع شك ونقد، لأنه حتى الوطنية لم يتم الاتفاق عليها ولا تحديد كمية مشاعرها⁽¹⁰⁾.

فمعظم ما يقترح في هذا المجال هو وضعيات تخدم بالأساس الجانب الإخباري في المادة، وتقلص إلى حد كبير الجانب التكويني، دروس التاريخ هي عبارة عن وضعيات تقدم فيها محتويات تاريخية مبنية بصورة مسبقة على المتعلم أن يحفظها كما وردت دون علم بنوعية الأدوات التي استعملت في بنائها وهيكلتها على النحو الذي وردت عليه.

لا أحد منا يستطيع أن ينكر ما لهذا الجانب الإخباري من أهمية قصوى حتى على مستوى المؤرخ الكبير نفسه، ولكن تدريسه على النحو السابق يغيب بصفة واضحة الجانب المنهجي في التاريخ، ليكتفي بسرد النتائج الواحدة تلو الأخرى، فلا بد أن يكون تدريس التاريخ "لشحن الهمم وبعث الروح من جديد، لما فيه من معرفة الماضي، واستشراف المستقبل"⁽¹¹⁾.

إن السؤال الذي يفرض نفسه في هذا الصدد هو لماذا لا يتم تصور وضعيات تعليمية تعليمية يقوم فيها المتعلم بنفسه دون أن ننسى توجيه المدرس وقيادته للعمل بالبحث عن الأخبار والمعلومات المتعلقة بالحوادث والوقائع التاريخية في إطار تقدم له فيه المساعدة على مستوى التوثيق بكافة أنواعه، وعلى مستوى منهجية العمل التاريخي، لنتمكن من إكسابه، إلى جانب المحتوى التاريخي "حسا تاريخيا" يجعله يعي بصورة تدريجية:

- الصيرورة التي يفرضها انصرام الزمن وهي صيرورة تخضع لها كل الأشياء والكائنات بما فيها حياة الإنسان.

إن هذه الصيرورة التي تتسم بها جل الوقائع التاريخية توضح بصورة جلية أن هذه الوقائع ليست في واقع الأمر إلا صيرورات متنوعة لسلسلة متنوعة من العوامل والأسباب. وأن كل بحث عن هذه الأسباب يستوجب استقراء أحداث سابقة.

- إن البحث في أحداث الماضي هو في حقيقة الأمر سعي لفهم هذه الأحداث أكثر من تفسيرها. فالفهم كما هو معروف يعد من الأهداف الرئيسية لهذا البحث، ويختلف عن التفسير بكونه لا يهدف إلى وضع قوانين لحركة التاريخ (فلسفة التاريخ) بل يسعى إلى إعطاء الواقعة التاريخية معنى محددا قد يتغير لاحقا على ضوء معطيات جديدة تظهر في الحقل التاريخي، وعلى ضوء ما يتطلبه كل عصر من العصور من قيم وتصورات ثقافية.

إن البحث التاريخي أو حتى تعلم التاريخ هو في الواقع نشاط يقتضي عودة إلى الماضي أي رجوعا زمنيا يتطلب قدرة محددة من التجريد، وتدرجا محددا وفقا لسلم كرونولوجي محدد.

ومن نافلة القول التأكيد على أنه لو عرف كل واحد منا أهداف التربية وأخذ بالوسائل المؤدية لها لغدت مدارسنا وجامعاتنا سعيدة وتلاميذنا وطلبتنا من أهنأ الخلق.

2- دور التاريخ في تشكل الهوية الوطنية:

التاريخ كما نعلم جميعا يجب على تساؤلات الإنسان الفطرية عن أصله، وأصل مجتمعه، وانتمائه الحضاري، وهو الوسيلة التي تبين للمجتمع البشري أن وجوده ليس عارضا وإنما مستمرا من الماضي إلى الحاضر، وبأن الأمر سيكون كذلك في المستقبل، أي تحديد قدرات هذا المجتمع في حيز الإمكان وقدراته في حيز الفعل ما دام أحسن معيار وأكبر منبئ عن قدرات الفرد الحاضرة والمستقبلية، أفعاله ومنجزاته حتى لحظة إجراء القياس⁽¹²⁾.

إن المدرسة التاريخية الفرنسية سعت منذ الاحتلال وحتى بعد الاستقلال إلى تشويه التاريخ الوطني وتزييفه، والحث من أبطاله، محاولة ربط هذا التاريخ بالمنجز الأوروبي عامة والفرنسي خاصة، من أجل سلخ هذا الجيل من هويته ومكنونه، بل سعى إلى إيجاد أجيال تؤمن بهذه الفكرة وتعمل على ترسيخها⁽¹³⁾.

وهذا ما جعل من أهم الانشغالات التي هيمنت على النخبة الوطنية منذ بواكير القرن الماضي، هو العمل على إعادة صياغة التاريخ الوطني في اتجاه إحياء الذاكرة الجمعية للشعب الجزائري، وترسيخ الاعتقاد بالانتماء إلى ثقافة مغايرة لثقافة المستعمر⁽¹⁴⁾، ولا شك في أن أهم هذه الملاحظات التربوية يجب أن يستهدف تقوية الروح الوطنية والوعي في نفوس الطلاب، من خلال اعداد مناهج تتحدى القصور والنظرة التقليدية الضيقة عن التاريخ والميل لتشجيع العلوم الدقيقة على حساب مقومات الأمة⁽¹⁵⁾.

لقد بدأ السياسيون يشعرون بأن المدرسة التاريخية البحتة كانت خطرا لأنها مكنت المؤرخين الذين يشعرون بالحرية في بيتهم الديمقراطي من أن يلحقوا بكل الاتهامات والتزييفات على أبرز أبطال الأمة، وكذلك في نفس الوقت كانت تطمس فيه الكثير من الحقائق غير السارة عن بعض صانعي التاريخ أو الأبطال القوميين، أو عكسها بالنقيض أين تجعل أي نظرة احترام للمثل العليا والأبطال المحليين تبدو وكأنها مسألة قد عفا عنها الزمن⁽¹⁶⁾.

كما أن هيمنة الطريقة التقليدية في التلقين وتدريس التاريخ، جعل منه مادة منفرة وغير جذابة للطلبة، تمتاز بالملل والرتابة، مما يقلل فيهم الاقبال والحماس على تعلمه، وبالتالي إعداد رجل الغد مشبع بقيم وطنه ومحب للذاكرة الوطنية⁽¹⁷⁾.

لكن بفضل بعض الباحثين والسياسيين والمفكرين تم النظر إلى التاريخ لا على أنه نوع من المعرفة لها منهجها الخاص، بها للوصول إلى الحقيقة الظاهرة، بل على أنه وسيلة لبلوغ ذلك النوع من الوطنية الذي يمكن أن يقوم على نظر غير نقدي لتاريخ لبلادهم⁽¹⁸⁾.

غير أنه مع مرور الوقت بدا وأن هذا الهدف المعلن على وجاهته وجدارته بالاعتبار، قد خلق نوعاً من الانكفاء على الذات، والاستغراق في الاعلاء من شأن تاريخ قطري، ما لبث البعض أن استغله في بعث النعرات العرقية من قبيل الفرعونية والفنيقية والبربرية...⁽¹⁹⁾، ولو أحس كل فرد من أفراد الأمة بالواجب عليه لقلت الحاجة إلى الوازع الخارجي، الذي يهدف دائماً إلى التقسيم.

ويجب أن نسلط الضوء على كل الأحداث التاريخية وإزالة اللبس والغموض عنها، لأن الغموض يدفع إلى التشكيك والتأويل، ويسمح للأعداء بتشويه ماضينا، هذا الماضي الذي يجب على الإنسان أن يستمد منه الروح المعنوية، ويكتسب منه المناعة ضد المسخ الحضاري، فهو ذخيرة المجتمع الأساسية عندما تحدد به الأخطار.

ولذلك نلاحظ بأن أغلب الأمم اعتبرت التاريخ أداة مفيدة فوظفتها في خدمة أغراضها، وتلبية حاجاتها بعدما كيفتها بالشكل الذي يحقق لها أقصى ما يمكن تحقيقه من فائدة، إذ جعلت مشاكلها ومعضلاتها الحاضرة محددة لمضمونه لديها، مثل ما وضع مؤرخو الغرب التاريخ الأوروبي محور الدوران وهو تاريخ العالم⁽²⁰⁾.

وهذا التوظيف يجب أن يكون موضوعياً وإلا كانت النتائج عكسية فينطبق على ذلك ما قاله الكاتب الفرنسي بول فاليري: إن التاريخ أخطر وأضر العقاقير التي استحضرها كيميائ العقل، خواصه معلومة جيداً، انه يسكر الأمم ويثير في نفوسها شتى الأوهام والأحلام، ويورثها ذكريات كاذبة، كما أنه يخدش جروحها القديمة، فيحول دون التئام ذلك الجرح، انه يقضي على مضاجع الأمة ويسلبها راحة البال، ويؤدي بها في الأخير إلى مانياء العظيمة أو إلى الاضطهاد⁽²¹⁾.

لذا يجب تخريج إطارات وتكوين طلبة مقتنعين بالمجهود الوطني وإخلاص النية في العمل، ولا يمكن أن يتأتى ذلك إلا من خلال قناعات تاريخية، بأن الآباء والأجداد ناضلوا واستشهدوا من أجل بناء وطن قوي بشعب عظيم، من خلال الاهتمام ببرامج ومناهج التاريخ بدءاً من المستوى الاعدادي، حتى يواصل جيل الاستقلال كفاحهم من خلال بناء هذا الوطن والمحافظة عليه⁽²²⁾.

لهذا يجب على واضعي برامج ومناهج التاريخ الحرص على استيفاء الطالب لأكبر قدر من المعرفة التاريخية الضرورية، ومواكبة مماثلة على تأطير هذه المعرفة برؤى وتصورات تتجاوز

مجرد رد الفعل على المنظومة الاستعمارية، إلى تطلع للاستمداد من معين المنظمة الإسلامية التي تمنح الدرس التاريخي التأثير المنشود، في تأهيل الطالب لاكتساب شخصية إيجابية، مستنيرة، وواثقة، ومنسجمة تمكنه من العطاء والفاعلية⁽²³⁾.

وفي نفس الوقت يجب أن لا ندع مجالا لحملة خلق الأساطير والتقديس والتعظيم لبعض الشخصيات، خاصة من الصحفيين المرتزقين، رغم أنهم يدركون ما في التزييف من خطر، إلا أنهم شنوا حملاتهم لتلطix صور البعض أو تنصيع صور الآخرين، وإنشاء حولهم هالة لا تمس⁽²⁴⁾.

.إن كل قراءة لأحداث الماضي تتطلب إلى جانب المجهود العقلي معاشة روحية ووجدانية لتلك الأحداث وشعورها بحركيتها حتى وان كانت موهلة في القدم لأنها تمثل تجارب وخبرات الإنسان، هذه الخبرات التي لا يعنى مرورها زمنيا موتا لها بل يمكن أن تكون مستمرة في الحاضر وفاعلة فيه.

إن هذه الحقائق كلها يجب أن تكون نصب أعيننا ونحن ندرس التاريخ، وهي حقائق تمثل في جانب طريقة البحث والعمل في حقل التاريخ وفي جانب آخر ارتباط التاريخ بقيم ومعايير ثقافية لا يمكن استبعادها بصورة نهائية باسم علم وضعي لا وجود له ومن هنا يجب أن يخضع تدريس التاريخ بل وأن يزواج بين المحلي والخاص من جهة وبين العالمي والعام من جهة أخرى.

وهذه المعايير التي ترجع إلى التاريخ يمكن أن يقاس عن طريقها الحاضر، وهذا الحاضر الذي نعيشه ليس ثابتا ولكنه متحرك ومتغير ومن أهداف التربية إعداد المواطن ليعيش في حاضر ينتهي إلى مستقبل أفضل من الحاضر.

كما يساهم التاريخ مساهمة فعالة وناجعة في إعداد الطلاب للمواطنة السليمة القائمة على الفهم الصحيح للنظم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الذي يعيشون فيه والتكيف معها والاعتزاز بالوطن والولاء له ولأهدافه الوطنية.

والآن وما دام تدريس التاريخ بهذا القدر من الخطورة فما هي العوائق التي تقف حاجزا وتحول دون تحقيق وظيفة التاريخ التي شرحناها في مؤسساتنا التعليمية ؟

3- كيفية تدريس التاريخ:

من أهم النتائج التي يجب أن نستخلصها هي الإيمان بأهمية دروس التاريخ في حياة الشعوب والأمم، لأننا ما زلنا بعيدين كل البعد عن هذا الإيمان، إذا تم استغلاله في تهديم مكونات الأمة الجزائرية، التي تتصدى لكل هذه المحاولات باعتبارها لها رصيد تاريخي خلفه

صناع الاحداث من المجاهدين والثوار والعلماء⁽²⁵⁾، وكما يذكر أحد الباحثين أنه المهم في تعلم التاريخ ليس التعرف على الأحداث بل فهما وكيفية الطريقة التي نتعلم بها⁽²⁶⁾.

فإننا قلما نهدف في دروس التاريخ إلى أهداف واضحة وقلما نعمل لتلك الأهداف بتأمل وتبصر وثبات، وكثيرا ما يثير رجال الفكر والتربية والتعليم في كل أنحاء العالم المسائل العلمية الشائكة في التاريخ وفي دروس التاريخ، ويرى البعض أن التاريخ يجب أن يكتب ويدرس بنظرة علمية بحتة في حين يقول البعض الآخر أن التاريخ بعيدا عن الصفات التي يتسم ويتميز بها العلم بعدا كبيرا، فلا يمكن تدوينه وتدرسه بنظرة علمية بحتة⁽²⁷⁾.

وكما قال الدكتور محمد العربي ولد خليفة: "ينبغي أن نعالج تاريخنا في ضوء مبدأ الوحدة والاتصال أي نتقبل تاريخنا في امتداده الزمني والمكاني... ونعنى بكلمة تقبل التاريخ توظيفه في تكوين الأنا المثالية، فلا يشعر شبابنا بالخجل أو الضعف عند مقارنة ماضهم بماضي الآخرين، ولا تكون دروس التاريخ في المعاهد اعتذارات عن الفشل والخيبة والهزيمة، مما يخفض من قيمة الذات المثالية وينزل بالنموذج أو القدوة إلى أدنى مستوى"⁽²⁸⁾.

غير أنه يجب أن نميز بين قضية تدوين التاريخ من قضية تدريس التاريخ، فمن الممكن جدا كتابة التاريخ بنظرة علمية بحتة ولكن من المستحيل تدريس التاريخ وتعليمه بنظرة علمية بحتة مجردة عن كل نزعة خاصة

فعندما نكتب التاريخ نأخذ بعين الاعتبار ما يصل إلينا من الوقائع والتفاصيل فنستطيع أن ننزهها وزنا دقيقا وندرسها دراسة علمية نزيهة دون أن تكون لنا غاية أخرى غير غاية معرفة الحقيقة وإظهارها للناس.

ولكن عندما نقدم على تدريسه لا نجد إمكانا ماديا لعرض جميع الوقائع وذكر جميع الحقائق واستعراض جميع التفاصيل فنضطر طبعاً إلى الاكتفاء بسرد الوقائع والأحداث وإهمال ما سواها، كما أن تدريس التاريخ بمنهج نقدي بناء يمكننا من استخلاص العبر منه فلا يجب أن نقدر الأشخاص ونبالغ في تعداد مساهماتهم في صنع الأحداث، وفي نفس الوقت يجب أن لا نقلل من دورهم⁽²⁹⁾.

إن هذا الاضطرار يحملنا مهمة شاقة هي مهمة الترجيح، ولا حاجة إلى القول بأن ذلك لا يمكن أن يتم بملاحظات علمية بحتة، فلا بد لها أن تخضع لبعض الملاحظات التربوية، كما أن تدريس التاريخ لا فائدة منه على الإطلاق إذا كان خاليا من الغيرة الوطنية والانتماء الحضاري، فبدو نهما يفقد التاريخ لونه ومذاقه، ويصبح عبارة عن أرقام وأسماء وأوراق لا قيمة لها⁽³⁰⁾.

فيجب أن تكون الكتب المقررة للتدريس التاريخ خاصة في مراحل تكوين الشخصية تستحضر كل البطولات والأمجاد الوطنية وتستشهد بكل التصريحات النبيلة التي قالها أجدادنا العقلاء، وكانوا ألقوا بها في هدوء وفي أشد اللحظات حرجا من ماضينا⁽³¹⁾. وهذا يعنى أن تدريس التاريخ ينبغي أن يوفق بين ما يسعى بالأهداف الإخبارية والأهداف التكوينية بين ما نحرص على إكسابه للمتعلم من معلومات تاريخية مرتبطة بثقافته وبانتمائه الحضاري أولا وبالثقافة العالمية ثانيا وما نحرص على إكسابه لهذا المتعلم من أدوات وتقنيات عمل تجعله مؤرخا بالسلوك لا بالتخصص، و متمكنا من قراءة الأحداث والأخبار بصورة نقدية وفاحصة⁽³²⁾.

للإجابة عن سؤال الاشكالية يجب أن ترسخ في أذهاننا حقيقة هامة وهي من الأمور الهامة جدا لجعل تدريس التاريخ مجديا ونافعاً في التربية أن نسبغ على الماضي في المجتمع للحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية جسرا من الحقيقة التي يشعر بها التلاميذ والطلبة على حد سواء أثناء دراستهم للتاريخ حتى يستطيعون فهم مجتمعهم الذي يعيشون فيه فهم يجعلهم يقفون على القوى المؤثرة فيه والمشكلات التي يواجهها لأن الماضي هو الأساس الذي يقوم عليه الحاضر، وهذا ما يعرف بفلسفة التاريخ⁽³³⁾.

فكلما أدركنا تاريخ مجتمعنا والمجتمعات المعاصرة وتاريخها الماضي الذي لا يزال مستمرا في الحاضر من حياتنا وليس هذا شأن المجتمعات فقط وإنما هو شأن الأفراد، فالفرد يستفيد من خبرته الماضية كي يواجه موقفا جديدا في حاضره وسلاحه في ذلك ذاكرته التي تدرك المواقف الماضية التي تشابه مع المواقف الحاضرة، ولذلك قال البعض بأن التاريخ يعيد نفسه رغم اختلاف الزمان والمكان، فالتاريخ هو سلاح المجتمع لفهم الحاضر وتفسيره⁽³⁴⁾.

فالنظم السياسية والقوانين والأفكار والعادات والتقاليد المختلفة وأساليب الحياة وعلاقات الأفراد ببعضهم البعض والمجتمعات والأمم كذلك وجميع مظاهر حياتهم في الوقت الحاضر لا يمكن فهمها فهما صحيحا إلا في ضوء تاريخ تلك النظم والعلاقات في المجتمع في العصور الماضية⁽³⁵⁾.

وإذا كانت دروس التاريخ تؤدي إلى تفسير الحاضر وفهمه فان ذلك لا يجدي وحده بل لابد من تقويم هذا الحاضر حتى يتسنى استخلاص القيم التي توجه نشاط الإنسان بصفة خاصة والمجتمع بصفة عامة وهناك معايير لهذه القيم. هذه الأخيرة التي ترجع إلى خبرات الماضي التي يسجلها ويحفظها التاريخ⁽³⁶⁾.

ووظيفة تدريس التاريخ في المدارس والجامعات تكسب التلاميذ والطلبة معرفة بالنظم الاجتماعية وإدراكات للاتجاهات التاريخية التي تغلب على نشاط الجماعة، كما أنه يمكننا من خلال دراسة التاريخ إدراك حقيقة التغير في المجتمع، فالتغير في المجتمع عملية اضطرابية مستمرة ومن خلال دراستنا للوقائع والأحداث التاريخية نلاحظ أن هناك فترات من التاريخ تميزت ببطء شديد في التغير⁽³⁷⁾.

فالتغير بصورة عامة لا يسير بدرجة واحدة ويجب كذلك أن نميز ونفرك بين التغير والتقدم في المجتمع، فالتغير يقصد به التعديل الذي يتم في طبيعة ومضمون وبناء الجماعات والنظم وفي العلاقات بين الناس والجماعات.

أما التقدم فإنه يهتم بالبحث عن مجتمع أفضل أي ما ينبغي أن يكون عليه المجتمع بينما يشير التغير إلى ما هو موجود وما يوجد. إن إدراك الطلبة لحقيقة التغير واتجاهاته الرئيسية في المجتمع يؤدي إلى تشبع روح الطلاب بالتقدم والتحرر عن التواكل وتنمى شعورهم بالمسؤولية في المحافظة على المكاسب والانجازات التي حققها المجتمع في مسيرته التاريخية⁽³⁸⁾. وعندما ندرس الطلبة التاريخ بهذا المفهوم وهذا المنهج فإننا نكون أفراداً يمتازون بالعقلية العلمية المحايدة التي تنظر إلى الأمور بنظرة علمية موضوعية تكفل تفتح الأذهان، وتكسب عقولهم العادة التاريخية في تناول الحقائق⁽³⁹⁾.

وهذا الأسلوب التاريخي في التفكير مهم لكل إنسان في حياته اليومية. وهنا مجموعة من المهارات يمكن تنميتها في الطالب وهي: كيفية الحصول على المعلومات التاريخية من الكتب والمجلات والصحف وغيرها من مصادر المعرفة وفهم هذه المعلومات وإدراك معناها. الحكم على قيمة المعلومات عن طريق التعرف على مصادرها والتمييز بين مصادر المعرفة المتعددة واكتشاف التعليقات الخاطئة، والتمييز بين مستويات الحقيقة وبين الحقيقة بتفسيرها واكتشاف الدوافع وراء التفسيرات المختلفة وغير ذلك من مهارات التفكير الناقد⁽⁴⁰⁾. انتقاء المعلومات وتنظيمها وعرضها وتكوين رأي مستنير حول القضايا الاجتماعية في الماضي والحاضر⁽⁴¹⁾.

- إدراك المتعلم لمفهوم الزمن من خلال استيعابه للتسلسل الزمني وتمثله لمختلف الفترات التاريخية بأبعادها الزمانية الشاسعة يشكل ملموس يساعده على الارتقاء إلى مستوى التجديد. - ترتيب الأحداث ترتيباً سببياً بإدراك العلاقة بين العناصر المحركة للتاريخ، والربط بين الحقب التاريخية مع التركيز على استجلاء المظاهر والمراحل والنتائج والوعي بأهم القضايا الإنسانية المعاصرة.

- توعية المتعلم بأهمية الماضي في فهم الحاضر والتطلع إلى المستقبل قصد تأهيله لحل المشاكل التي تواجهه وبذلك يصبح الماضي حاضرا وتاريخا فاعلا⁽⁴²⁾.

ويجب أن لا نتكلم عن إعداد المواطن الصالح كما يتكلم الطهارة على إعداد بعض ألوان الطعام. فالمواطن الصالح في نظرهم هو الفرد الذي يتصف بجميع الصفات اللازمة للحياة في مجتمع ما، والطعام الصالح هو الطعام الموافق لذوق أكله. فيكفى أن نملاً عقل الطالب بقليل من التاريخ القديم وقليل من أحداث التاريخ الوسيط مع كمية معينة من تاريخ العالم في العصر الحديث والمعاصر وجرعة من تاريخ الثورة التحريرية وأن نطبخ ذلك كله على نظام آلي معلوم حتى نعد مواطنا صالحا⁽⁴³⁾.

وليس في نظرهم أن يكون المواطن صالحا بذاته وإنما المهم أن يكون صالحا للعيش في بيئة معينة حتى ولو كانت متأخرة، فيتبع بعض التقاليد ويتقيد ببعض العادات ويقوم بكل ما هو مطلوب منه. هؤلاء المواطنون الذين يتم تكوينهم على هذه الطريقة الآلية قد يتشابهون كثيرا في أفكارهم وأفعالهم وقد يعيشون في مجتمعهم كما يعيش النحل في الخلية، ولكنهم لا يؤلفون مجتمعا حرا واعيا يدرك ما يجب عليه أن يقوم به من الأعمال في سبيل بقائه وتقدمه⁽⁴⁴⁾.

4- خاتمة:

يجب على الجيل الجديد من المؤرخين والباحثين والأساتذة المدرسين للتاريخ التواصل مع الجيل السابق المخضرم الذي عايش الفترة الاستعمارية، من أجل الاستفادة من تجربتهم وخبرتهم في مجال البحوث التاريخية، وربط الماضي بالحاضر حتى لا تحدث فجوة في محاولة التقدم، مع ضرورة إدخال إصلاح عميق على منظومة البحث التاريخي وطرق التدريس لمواكبة تطور البحث العلمي.

إن تدريس مادة التاريخ في جميع مراحل المنظومة التربوية الوطنية الجزائرية لا يمكن الاستغناء عنه على الإطلاق، لأنه المساهم الرئيسي في بث الروح الوطنية وحب الوطن والاعتزاز والتفاخر بماضي الأجداد، وتكوين القيم والثوابت للهوية الوطنية.

العمل على تجاوز النص التاريخي الذي أنجزه الآخر، والذي غالبا ما يكون منافيا لقيمنا وثقافتنا وهويتنا الحضارية، والعودة إلى الانتاج الخاص والمحلي، دون تفريط أو إفراط، ودون التقوقع والانعزال، فيجب مواكبة الأحداث وسيرورة التطور لمنظومتنا التربوية في إطار المبادئ والهوية الوطنية، وفي كنف القيم الانسانية والعالمية.

لابد على المنظومة التعليمية ككل في بلادنا أن تواكب المتغيرات المحلية والدولية على حد سواء من خلال مواكبة طرق تدريس التاريخ ومناهجه، وطرق التكوين، مع العمل على غرس

القيم الوطنية والانسانية، وإذكاء شعلة حب الوطن وبناءه والحفاظ على مشعل الشهداء ورسالة الثوار.

إيلاء التاريخ ما يستحق من مكانة سواء التاريخ العام أو التاريخ الوطني الخاص، من خلال تشجيع الباحثين على الكتابة والتأليف وطبع أعمالهم، وإخراجها من الأدراج، إضافة إلى تشجيع العمل في التاريخ المحلي الجهوي الذي يعزز الانتماء والوطنية.

العمل على تنويع طرق تدريس التاريخ القابلة للتشويق والدراسة، من خلال زيارة المتاحف، والخرجات العلمية، واستخدام تقنيات ووسائل البحث والتنقيب، وتحقيق المخطوطات، والسماح لهم بالاطلاع على الارشيفات، وهذا لإخراج هذه المادة من الرتبة والروتين والملل مما ينفر الطلبة من الاقبال على دراسته والاستفادة من عبره وقيمه.

توثيق المراجع والمصادر:

1. عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت 2004 ، ص 15.
2. محمد بن صامل السلي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، وتدريبه، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 المنصورة ، 1988 ، ص74
3. المرجع نفسه، ص 51.50
- 4 - ساطع الحصري: آراء وأحاديث في الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984، ص22-23.
- 5 - محمد بليل: واقع تدريس التاريخ وفق النظام الجامعي الجديد (ل، م، د) في الجامعة الجزائرية قسم العلوم الانسانية، جامعة ابن خلدون بتيارت أنموذجا، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، مج17، ع2، جوان 2016، ص111.
- 6 - لخضر بولطيف: الأبعاد المعرفية والمنهجية لبرنامج تدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية، رصد وتقويم ومناقشة البدائل-، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد9، ديسمبر 2014، ص375.
- 7 النشاط التعليمي الذي يحدث أساسا داخل حجرات الدرس. محمد الدريج: عودة إلى تعريف الديداكتيك أو علم التدريس، مجلة علوم التربية، ع47، مارس 2011، ص7-8.
- 8 - لويس جوتشولوك: كيف نفهم التاريخ، مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي، ترجمة عائدة سليمان عارف، دار الكتاب العربي، 1950، ص17.
9. لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص378.
10. نفسه، ص377.
- 11 - سعدوني بشير: واقع تدريس التاريخ الوطني في المنظومة التربوية والجامعية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، مج17، ع2، جوان 2016، ص408.

- 12 - أحمد بدر: كتابة تاريخ العرب ، لماذا؟ مجلة دراسات تاريخية ، لجنة كتابة تاريخ العرب، ع 1 ، دمشق 1980 ، ص 9 . 10
- 13 . محمد بليل: المرجع السابق، ص113.
- 14 . لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص378.
- 15 . سعدوني بشير: المرجع السابق، ص414.
- 16 . لويس جوتشولوك: المرجع السابق، ص17.
- 17 . سعدوني بشير: المرجع السابق، ص414.
- 18 . لويس جوتشولوك: المرجع السابق، ص15.
- 19 - خضر عبد العليم عبد الرحمن: المسلمون وكتابة التاريخ، دراسة في التأصيل الاسلامي لعلم التاريخ، هرنند - فرجينيا، منشورات المعهد العالمي للفكر، الاسلامي، 1995، ص273.
- 20 - خليل عماد الدين: في التاريخ الاسلامي:،: فصول في المنهج والتحليل، منشورات المكتب الاسلامي، بيروت، ط1، 1981، ص194-195.
- 21 . ساطع الحصري: المرجع السابق، ص 24
- 22 . محمد بليل: المرجع السابق، ص114.
- 23 . لخضر بولطيف: المرجع السابق، ص379.
- 24 . لويس جوتشولوك: المرجع السابق، ص17.
- 25 . محمد بليل: المرجع السابق، ص115.
26. Paul Maréchal ; L’histoire en question, 2^{ème} édition , Bourrelie, 1968,P.49.
- 27 - خيرى الرزقي: تعليمية مادة التاريخ في مقررات ومناهج المنظومة التعليمية الجزائرية، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، مج6، ع1، جانفي 2022، ص 1269.
- 28 . محمد العربي ولد خليفة: المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية مساهمة في تحليل وتقييم نظام التربية والتكوين في البحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1989 ، ص 239
- 29 - صليحة لالوش: تدريس مادة التاريخ في مرحلة التعليم المتوسط، مجلة البحوث التربوية والتعليمية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، مج4، ع7، جوان 2015، ص227-228.
- 30 . لويس جوتشولوك: المرجع السابق، ص17.
- 31 . خيرى الرزقي: المرجع السابق، ص1270.
- 32 - عبد الرحيم الحرصاوى: تساؤلات أولية حول تدريس التاريخ ، مجلة ديداكتيكا ، دار الخطابي للطباعة والنشر، المغرب، ع 2 ، سنة 1992 ، ص85، 87 .
- 33 - لكحل فيصل: لكحل فيصل: من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، قراءة في المفهوم والتصور، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، ع1، جانفي 2018، ص81.
- 34 - خيرى على إبراهيم: المواد الاجتماعية في مناهج التعليم بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1996 ، ص75

35. لكحل فيصل: المرجع السابق، ص79.
36. خيرى الرزقي: المرجع السابق، ص1269-1270.
37. شعشوع معمر: طرق تدريس التاريخ بين المناهج التقليدية وتجديد الوسائط المعلوماتية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، مج17، ع2، جوان 2016، ص231-232.
38. شعشوع معمر: المرجع نفسه، ص230.
39. خيرى الرزقي: المرجع السابق، ص1270.
40. خيرى الرزقي: المرجع السابق، ص1269-1270.
41. خيرى على إبراهيم: المرجع السابق، ص81-89.
42. – عمر بن دادة: تطور تدريس التاريخ فى السلكن الإعدادي والثانوي بالمغرب، أعمال ندوة : كيف يدرس التاريخ فى الجزائر، مركز البحوث والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (وهران 26 - 27 فبراير 1992) الجزائر 1995، ص113-114.
43. خيرى الرزقي: المرجع السابق، ص1269.
44. جميل صليبا: مستقبل التربية فى العالم العربى، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 1967، ص10.

قائمة المصادر والمراجع:

-المصادر:

-ابن خلدون عبد الرحمن : المقدمة دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ، بيروت 2004

-المراجع:

- جميل صليبا: مستقبل التربية فى العالم العربى، منشورات عويدات، ط2، بيروت، 1967.
- خضر عبد العليم عبد الرحمن: المسلمون وكتابة التاريخ، دراسة فى التأصيل الاسلامي لعلم التاريخ، هرندن – فرجينيا، منشورات المعهد العاملي للفكر، الاسلامي، 1995.
- خليل عماد الدين: فى التاريخ الاسلامي،: فصول فى المنهج والتحليل، منشورات المكتب الاسلامي، بيروت، ط1، 1981.
- خيرى على إبراهيم: المواد الاجتماعية فى مناهج التعليم بين النظرية والتطبيق، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1996.
- ساطع الحصري: أراء وأحاديث فى الوطنية والقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1984.
- لويس جوتشولوك: كيف نفهم التاريخ، مدخل إلى تطبيق المنهج التاريخي، ترجمة عائدة سليمان عارف، دار الكتاب العربى، 1950.

-محمد العربي ولد خليفة: المهام الحضارية للمدرسة والجامعة الجزائرية مساهمة في تحليل وتقييم نظام التربية والتكوين في البحث العلمي، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1989.
-محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، وتدريبه، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 المنصورة ، 1988.

Paul Maréchal ; L'histoire en question, 2^{ème} édition , Bourrelier, 1968.

-المقالات والملتقيات:

-أحمد بدر: كتابة تاريخ العرب ، لماذا؟ مجلة دراسات تاريخية ، لجنة كتابة تاريخ العرب، ع 1 ، دمشق 1980.

-خيرري الرزقي: تعليمية مادة التاريخ في مقررات ومناهج المنظومة التعليمية الجزائرية، المجلة التاريخية الجزائرية، جامعة المسيلة، مج6، ع1، جانفي 2022،

-سعدوني بشير: واقع تدريس التاريخ الوطني في المنظومة التربوية والجامعية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، مج17، ع2، جوان 2016.

-شعشوع معمر: طرق تدريس التاريخ بين المناهج التقليدية وتجديد الوسائط المعلوماتية، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، مج17، ع2، جوان 2016.

-صليحة لا لوش: تدريس مادة التاريخ في مرحلة التعليم المتوسط، مجلة البحوث التربوية والتعليمية، المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة، مج4، ع7، جوان 2015.

-عبد الرحيم الحرصاوي: تساؤلات أولية حول تدريس التاريخ ، مجلة ديداكتيكا ، دار الخطابي للطباعة والنشر ، المغرب، ع 2 ، سنة 1992 .

-عمر بن دادة: تطور تدريس التاريخ في السلكين الإعدادي والثانوي بالمغرب، أعمال ندوة : كيف يدرس التاريخ في الجزائر، مركز البحوث والأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية (وهران 26-27 فبراير 1992) الجزائر 1995.

-لخضر بولطيف: الأبعاد المعرفية والمنهجية لبرنامج تدريس التاريخ في الجامعة الجزائرية، رصد وتقويم ومناقشة البدائل-، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، العدد9، ديسمبر 2014.

-لكحل فيصل: لكحل فيصل: من التاريخ إلى فلسفة التاريخ، قراءة في المفهوم والتصور، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، ع1، جانفي 2018.

-محمد الدريج: عودة إلى تعريف الديداكتيك أو علم التدريس، مجلة علوم التربية، ع47، مارس 2011.

-محمد بليل: واقع تدريس التاريخ وفق النظام الجامعي الجديد (ل، م ، د) في الجامعة الجزائرية قسم العلوم الانسانية، جامعة ابن خلدون بتيارت أنموذجا، مجلة الدراسات التاريخية، جامعة الجزائر2، مج17، ع2، جوان 2016.